البواعث الذاتيـــة العدمية في الشعر العراقي المعاصر

Nihilistic subjective motives in contemporary Iraqi poetry

م. م زينب دايخ مطر **أ.د جاسم حسين سلطان الخالدي**

جامعة واسط- كلية التربية للعلوم الإنسانية- قسم اللغة العربية

Email: Zainab8911111@gmail.com

البحث مستل من اطروحة الدكتوراه

الملخص:

قد تجلّى مفهوم الذات والذاتية منذ منتصف القرن التاسع عشر, وارتبط في الأساس في العلوم الإنسانية المعاصرة علم النفس, وعلم الفلسفة, وعلم الاجتماع, ثم انسحب الى الدراسات الأدبية والنقدية, وتبقى الذاتية من القضايا المهمة التي تناولها الدارسون والباحثون في العصر الحديث؛ وذلك سبب حضورها الثقافي واقعًا ومصطلحًا؛ فالذاتية في الشعر العراقي المعاصر جاءت ردّ فعل على تردي الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمع؛ وذلك عن طريق ما حملته التيارات الفكرية الغربية وما رافقها من آثار مدمرة للحربين العالميتين الى العراق, فنتج عن تلك الأوضاع بواعث ذاتية عدمية التصقت بالذات؛ إذ انتشر الاغتراب والقلق والحزن الذي أدى بالشاعر الى الانفصال عن الوجود والواقع, والانغلاق التام حول الذات والانشغال بالألم, والتعبير عن عالمه الذاتي وهمومه الفردية في واقع تسيطر عليه روح التشاؤم والسوداوية؛ إذ مُلئت دواوينهم بالمفاهيم والألفاظ العدمية.

الكلمات المفتاحية: (البواعث الذاتية, العدمية, الشعر العراقي المعاصر).

Nihilistic subjective motives in contemporary Iraqi poetry

Abstract

The concept of self and subjectivity has manifested itself since the middle of the nineteenth century, and was linked mainly in contemporary human sciences, psychology, philosophy, and sociology, and then withdrew to literary and critical studies, and subjectivity remains one of the important issues addressed by scholars and researchers in the modern era. This is the

reason for its cultural presence in reality and terminology. Subjectivity in contemporary Iraqi poetry came as a reaction to the deteriorating political, social and economic conditions in society. And that is through what the Western intellectual currents carried and the accompanying devastating effects of the two world wars to Iraq. As a result of those conditions, there were self-motivations of nihilism that stuck to the self; As alienation, anxiety, and sadness spread, which led the poet to separate from existence and reality, to completely close around himself and preoccupy himself with pain, and to express his self-world and his individual concerns in a reality dominated by the spirit of pessimism and melancholy; Their collections .were filled with nihilistic concepts and expressions

Key words: (Subjective motives, Nihilism, Contemporary Iraqi poetry).

المقدمة:

لم يكن مفهومُ (الذات–الذاتية) يسير الفهم كباقي المصطلحات الأخرى, بل رُبَّما يُعدّ من المصطلحات المعقدة؛ ولا سيَّما العلوم الإنسانية من الفلسفة وعلم النفس والاجتماع؛ إذ ظلّ يحيط به الغموض لحقبة زمنية طويلة, فمنذ "فرويد" طرأت تحولات عدّة, ومنها عُدّت الذات معادلة للنفس أو الشخصية الكلية, أي بمفهوم الجوهر والماهية والحقيقة, فـ(ذات) الشيء نفسه وعينه[1], ومِمّا تجدر الإشارة إليه أنّ تجلّي مصطلح الذاتية عند الغرب كان في منتصف القرن التاسع عشر؛ إذ استعمل في مجال العلوم الإنسانية كافة من فلسفة ونفس واخلاق ونقد أدبي وغيرها من الدراسات, ثم استعملها بعض النقاد العرب إبَّان القرن العشرين في مجال النقد الأدبي[2], وهذا يعني أنّ المصطلح لم يتوقف استعماله في ميدان محدد دون آخر.

تُعرَّف الذاتية بأنَّها: " نزعة فلسفية تركز على النفس وانشغال الشخص بنفسه والكاتب بمواده, مُغفلًا عن الموضوعية, وهي طريقة خاصة بالكتابة وهي الإفصاح عن ذوق صاحبها والاهتمام بمشاعره وتجاربه الشخصية, وهي بذلك تعارض الكلاسيكية التي تُبعد شخص الكاتب عن ساحة أدبه "[3].

وقد عملت الفلسفة على تفعيل دور الذات؛ لأنّ نقطة البداية في الفلسفة هي (الذاتية) المرتبطة بمجموعة من المشاعر والانفعالات والرؤى التأملية التي يُستدل بها عن طريق سلوك ما[4], فهي تصدر عن وجدان خالص للشاعر, إلّا أنّها تحمل في الوقت نفسه مقومات الموضوعية, فتعبيره ذاتي في نشأته, موضوعي في عاقبته[5]؛ ولأنّ الشعر والفلسفة صورتان للتعبير عن الوجود, فقد ركزت الوجودية على النتاج الأدبي الذي تسوده موضوعات متكررة في الوجود كالقلق والاغتراب والضياع وغيرها التي تُعنى بهواجس الإنسان الإبداعية, فالاتجاه الوجودي أقوى الاتجاهات المعاصرة في الأدب[6] بصورة عامة.

وَمِمَّا لا شك فيه أنّ الذاتية المُعدمة في الشعر العراقي المعاصر جاءت رَدَّ فِعْلٍ على تردي الأوضاع السياسية, والاجتماعية, والاقتصادية في المجتمع؛ وذلك عن طريق ما حملته " التيارات الفكرية الوافدة وما صاحبها من آثار مدمرة للحربين العالمتين إلى العراق, مفاهيم جديدة تحولت إلى عقائد تستحق الاعتناق والتضحية من أجلها في رأي معتنقيها... ؛ ولا سيما الفلسفة الوجودية التي وجدت لها مكانًا واسعًا في نفوس الشباب الصاعد "[7] آنذاك, مِمَّا انعكس ذلك على النتاج الشعري العراقي لتلك المرحلة في مختلف موضوعاته ومضامينه؛ لأنّه " لم يكن في العراق تيَّارٌ فكريٌّ وجوديٌّ بالمعنى الدقيق للكلمة... لعدم وجود الظروف الصالحة في أوساط المثقفين من الشباب... وإنْ أوضح ما يمكن أنْ يستجليه الباحث من آثار هذا الفكر عامة هو اتجاه عدد من الشعراء اتجاهًا ذاتيًا وفرديًا يعكس إحساسًا بالضياع والضجر "[8] والحزن, والقلق, والاغتراب وغيرها في الوجود, فما تغيّر من مفاهيم وأفكار بعد الحرب العالمية الثانية كان له الأثر الواضح في رؤية الشاعر العراقي وموقفه ونظرته إلى الوجود [9].

وإنَّ فكرة النزعة العدمية في الشعر العراقي المُعاصر متأتية في بعض الأحيان من بواعث شخصية متعلقة بذات الشاعر, وما يحمله من أفكار تكتنفها أو يحيط بها الشعور بالضياع واللاجدوى من الوجود بكلّ ما يحمله من تفاصيل؛ إذ يُلاحَظ صورة القلق والخوف من المحيط المُتمثل بالمجتمع وما يحمله من تناقضات, ألقت بظلالها على عالم الشاعر فأطَّرته بنزعة العدمية, مِمّا أَدَّى إلى اتجاه الشعراء إلى ذواتهم ومحاولة الاخلاص لها؛ وذلك لانعدام المعايير التقليدية[10].

وتجلّت الذاتية في قصائدهم الشعرية التي دعت الانفصال عن الواقع, والانعزال التام حول الذات والانشغال بالألم من خلال موضوعات كان لها الأثر الكبير في وعي الفرد كالاغتراب, والقلق, وسأشرع بالحديث أولًا عن:

. الاغتـراب

يُعد الاغتراب أحد مفاهيم الفكر الحديث؛ لكن جذوره ليست وليدة الحياة المعاصرة, بل إنّها موغلة في القدم ولها صداها في الآداب العالمية, والأدب العربي جزءا لا يتجزأ منها[11], فهو من الموضوعات التي " تناولها الفلاسفة والمفكرون بالتحليل وتعقبوها بالبحث والاستقصاء بعد نشوء المجتمع الصناعي من جهة, وقيام الحربين الكونيتين وما رافقهما من مآس وويلات من جهة أخرى "[12], فقد عرفت الموسوعة الفلسفية الاغتراب بأنّه " عدم التوافق بين الماهية والوجود, فالاغتراب نقص وتشويه عن الوضع الصحيح"[13], وإنَّه من الدوافع النفسية عند الإنسان التي تؤدي به إلى اعتزال المجتمع, والتمرد والرفض له ثم الانسحاب الذاتي الطوعي من الحياة[14]؛ نتيجة تراكم أسباب

اجتماعية وعوامل سياسية وسواهما, ترغمه على " الانشغال الدائم بالنفس وإنشاء عالم خاص يؤدي إلى الشعور بالاختلاف عن الآخرين "[15].

ويتضح مِمّا سبق أنّ اغتراب الإنسان ذاتيًا في الفلسفة الوجودية الحديثة, كما في وجودية (سارتر, وكامو, وهيدجر... الخ) اغترابٌ عبثيٌّ لا جدوى للوجود الإنساني فيه ولا معقولية لهذا الوجود وقيمه؛ إذ يتبدى قلق الإنسان منذ الوعي بذاته إلى مماته[16] بالشعور بالعدمية؛ فهو نتاج تراكمي لأنواع اغترابية عدّة منها الاجتماعي والعاطفي وغيرهما, تؤدي بالفرد إلى اعتزال واقعه كليًا أو شبه كلّي, ويتمظهر الاغتراب (الذاتي/العدمي) في شعر نازك الملائكة التي تُصنف من شعراء الرومانسية[17], والسأم الوجودي[18] والانعتاق من العالم المحيط بها الى عالم من صنع نفسها[19] فتشير إلى ذلك في قصيدتها (في وادي العبيد)؛ إذ تقول:

وحدتي تقتلُني والعُمْرُ ضاعا
والأسَى لم يُبْقِ لي حُلمًا جديـدْ
وظلامُ العيْش لم يُبْقِ شُعَاعـــا
والشَّبابُ الغَضُّ يَذْوي ويَبِيـــدْ
...
أيُّ معنىً لطُموحـــــي ورجائـــي
شَهِدَ الموتُ بضَعْفـــي البَشـــريّ
ليس في الأرض لُحزْني من عزاءِ
فاحتدامُ الشـــرّ طبْعُ الآدمـــيّ
مُثُلي العُليْا وحُلمي وسَمَائـــــي
كلُّها أوهامُ قلـــبٍ شـــاعـــريّ
هكذا قالوا... فما مَعْنى بَقائي؟
رحمة الأقدارِ بالقلب الشقيّ(20).

مثل البيت الأول مفتاحًا بنائيًا لفهم النص؛ لأنّ ذات الشاعرة لخصت وجهة نظرها في البيت الأول والثاني, فهما العتبة النصية الرئيسة التي بُني عليها النص بمجمله, فلا جدوى للنص من دون البيتين الأول والثاني, وأنّ (الوحدة) –هنا–مثلت شعورًا اغترابيًا بعيش المأساة والمعاناة؛ إذ كانت محور القضاء على كلّ فعل بدلالة مفردة (يقتلني) لتتبعها بالضياع (العمر ضاعا), وهذا ملمح اغترابي آخر؛ لأنّ ضياع العمر يعني التقدم نحو الموت والإحساس بهذا التقدم يمثل مرحلة من

مراحل اليأس من الحياة والخوف من الوجود, لتكتمل الصورة في عجز البيت الأول الذي لم يبق أي شيء حتى الحلم كأنّه قد أضاعه الأسى.

وإنَّ شعور الذات وظهورها بهذه الصورة السوداوية؛ إنّما يكشف عن حالة الضياع في الحياة؛ لأنّها صارت أوهامًا, فـ" الحس المأساوي بضياع الهدف والشعور بهشاشة الحياة تجعل طموحات الإنسان في هذه الدنيا دائما مشروعا غير قابل للتحقيق حتى تدركه المنية"[21], فهي تعيش عالمًا متشظيًا (فما معنى بقائي؟).

ويعمد بُلند الحيدري إلى الأفكار الفلسفية فيحولها إلى صور شعرية؛ إذ يرى أنّ كلّ شيء في الحياة لا يستحق التصالح معه, وأنّ أَمَلَهُ معدوم في الوجود أو شبه معدوم[22], لذلك تجلّت فكرة الوجودية في أغلب مجاميعه الشعرية*, بفعل تعاقب خيبات الأمل التي مرّ بها والقهر والاضطهاد الفكري والجسدي الذي عانى منه, وتفاقم شعور اللا انتماء للواقع وما يحمله من مرارة وألم, كل تلك البواعث جعلت ظاهرة الاغتراب الأبرز في شعره والأكثر طغيانا على ذاته ونصوصه [23], وقد تَجَسّد ذلك الشعور في قصيدته (لا شيء هنا)؛ فيقول:

كل آمالي تلاشت
مثلما يتلاشى النور عند الغسق
تساوى الليل عندي
والضُحى
ربَّ ليلِ فجره لم يفقِ
أجرع الحزن كؤوسًا
كلّما
أفرغت أترعتها من أرقى
صُوّبت من كل صوبٍ أسهمٌ
لست أدري
أي سهم أتقي[24].

في النص إشارات ذات دلالات وجودية تؤكد حالة من انعدام تفاعل الشاعر مع واقعه المرير؛ وذلك يبدأ من عنوان القصيدة (لا شيء هنا) التي تشير إلى إنكار تام للوجود, وإنّ اتخاذ الليل عنده صفة السبات الدائم(ربّ ليلِ فجره لم يفق) دلالة على عمق الحزن والتشتت والاغتراب النفسي, وتلاشي آماله في الوجود كله, فقد " ارتبطت غربة الشاعر هذه بحالته النفسية, وبالهم الفردي, فنتج عنه تساوٍ للأشياء, وبخاصة أشدها تناقضا (الليل, والنهار, والظلمة, والضياء) مِمَّا يعني الهرب من

الواقع"[25] المأساوي (لست أدري, أي سهم أتقي), كما يدل الحزن في هذا النص الذي أشار له الشاعر بصورة صريحة على ديمومة الألم واستمراره اللا منقطع (أجرع الحزن كؤوسًا) دلالة الجمع هنا تعني الاطلاق وعدم التحديد, فالحزن لم يأتِ من حادثة واحدة, بل من مظاهر الحياة جميعها بدلالة (كلما أفرغت اترعتها من أرقي)

فـ" الإحساس بخواء الحياة ولا جدواها ومن ثم فإنّ تفكيره هذا يقوده إلى العبث"[26] اللامتناهي.

ويُعَبّر حسين مردان عن محنة الضياع والتشرد التي مرَّ بها, وعودته إلى الذات بإزاء ما حلَّ به من سأم وحيرة واغتراب داخلي؛ ليثبت أنّه يعيش عالم الاغتراب الذاتي عن طريق رؤية فلسفية تجاه الوجود*, فضلا عن تأثره الشديد بالمفكر الوجودي جان بول سارتر[27], فأشار إلى ذلك في قصيدته (براكين)؛ إذ يقول:

ضُقت بالأرضِ والسماءِ فثوري
يا براكين نقمِتي وشـــروري
...
ما حياتي ولم أجدْ في حياتي
غيرَ حزنٍ يذيبُ صمَّ الصخورِ
ما حياتي وفجرُ عمري ولّى
وكَوَت صفرةُ الذبـولِ زُهــوري
ياليالي لم أكن غيــر خطٍّ
أسود اللون في جبينِ الدهــورِ(28).

يصور الشاعر في هذا النص تصويرًا حيًا لمتاعب نفسية كانت وليدة صراع كامن في نفسه, واعترافاته بعبثية وجوده في الحياة, عن طريق التكرار المنفي لكلمة حياتي المليئة بالحزن[29] الذي يذهب بشبابه إلى الذبول, فهو لم يكن سوى خط أسود اللون في هذا الوجود, وللسواد دلالة على ظلام مقيت يحيط بالشاعر, الذي يجعله يتمرد وينتقم من الحياة التي تدفع به إلى العزلة والانفصال عن العالم من حوله, ولعلّ شعوره بضياع سِني عمره من دون تحقق الهدف هو مظهر من مظاهر الرؤية الوجودية التي تجلّت في أشعاره بشكل واضح.

بينما يصبحُ الاغترابُ الوجوديّ هاجسًا[30] لدى جليل حيدر وقد تجسّد ذلك الشعور في قصيدته (أنت أدرى)؛إذ يقول:

ما الذي أنتظر؟
قرمطًا, يحدث شيئًا ما, رؤى خارطةٍ مقلوبة؟

هكذا لا طائرُ أرّخ هول الريحِ, لا موجُ

سوى

...

طلقة ليس صداها

غير أنْ توصد مفتاح الرياح (31).

فالضياع في هذا النص مفتاح أصيل لنسج رؤية الشاعر الذي يحتفي به[32] (الانتظار, الرياح, الموج), ومن خلال استفهامه الإنكاري لماهية الوجود وعبثية الانتظار, يكشف الشاعر عن مدى يأسه من تغيير واقعه إلى الأفضل, وإنّ مجيء لفظة (سوى) هنا دلالة على حيرة الذات الشاعرة وقلقها الدائم من الوجود الذي بدأ كخارطة مقلوبة فهي عدمية إزاء الكون والحياة, لا شيء يهول عليه اغترابه المرير؛ فقد افترض أنّ كلّ شيء في الحياة فقد معناه, والموت محتوم عليه بطلقة ليس لها صدًى تأكيدًا لانكسار ذاته المستمر.

. القلق

عُرف القلق بأنّه "حالة من الخوف الغامض الشديد الذي يمتلك الإنسان ويسبب له كثيرًا من الكدر والضيق والألم"[30], فهو "مصطلح مشتق من الكلمة اللاتينية (anxius) التي تعني القلق من أمر غير واضح"[31], على النقيض من الخوف الذي يرتبط موضوع محدّد؛ إذ يتدفق لدى الفرد الإحساس بالخطر من هذا الشيء المحدّد الذي يكون مصدرًا لخوفه[32], كما يُعدّ القلق من الأمراض النفسية التي تصيب الإنسان و" شعور بعدم الانسجام ينتاب المرء حين يريد التكيف لموقف اجتماعي معين, ويصاحبه شعور بعدم الارتياح, حيث تخيم الكآبة والملل, ولا يلبث المرء إلّا أنْ يرتد سريعًا إلى داخل ذاته, حيث الهرب من الحياة, وفلسفة الأمور كما تصورها له وساوسه"[33].

وجعل الفلاسفة الوجوديون القلق شعورًا ينتج عن تبعية الأعمال الاختيارية التي يقوم الإنسان, وكلما ازداد تفكيره بتلك الأعمال ازداد القلق معه, ويرون أنّ القلق الصادر عن الموت أشد قلقًا ينتاب الإنسان في وجوده؛ لأنّه إنهاء لإمكان الوجود في العالم وتلاشيه[34].

ويتضح –هنا– بعد أنْ رُصد القلق من علماء النفس والفلاسفة, فإنّه رُصد–أيضًا– بشكل مبدع من الشعراء بوصفه تجربة؛ لأنّ " الشعر الحقيقي لا ينطلق من الأفكار المجردة, ولكن من تجربة, ذلك لأنّ الشعر ليس عرضًا للأفكار, إنّما هو رؤية للحياة والكون " [35], فالشاعر في الفكر الوجودي " ذلك الكائن القلق أكثر من غيره على مصيره في عالم غريب عنه "[36], وأنّ قلق الشاعر العراقي المعاصر

" ليس قلقا نفسيا مؤقتا, وإنّما هو قلق ذهنيّ معرفيّ وجودي"[37], وأنّ قلق الشاعر كان قلقًا مبعثه الحاضر الذي يعيشه في ظل الظروف السوداوية والتحولات التي شهدها على الأصعدة كافة, فهو انعكاس لِمَا أصاب الذات الشاعرة من خيبات وانكسارات في عالم متغير باستمرارية, فقد تسللت إلى شعره الأفكار الوجودية والعدمية والعبثية, واللاجدوى والغموض, فلكلّ شاعر طريقة تُميزه في تعبيره عن قلقه ويأسه الذاتي المستمر[38] في الحياة.

إنّ قلق البياتي ليس على الماضي ولا على الحاضر, وإنَّما قلق على المصير, وَلَمّا كان الشاعر أسيرًا لقيد وعيه الشعري بمحض اختياره, فهو يتحرر من سلطة ما يشعر به في قصيدته التي تضمنت حلولًا ناجعة للعالم, لذا فإنّ القلق يحيل إلى أشياء في متيسر الشاعر أنْ يُعَبِّرَ بها عن حاله, فتقع الذات تحت وطأة القلق الغامض غير المفهوم[39], وتمثل ذلك في قصيدته (سفر الفقر والثورة)؛ إذ يقول:

ومن يفك الشاعر الأسير؟

من أسره, من ظلمات عصرنا, من قلق المصير

–الشعر كان قدري يا قاتلي الأجير

–من يمسح التراب عن زجاج هذا الفندق الحقير؟

–وقعت في كمين(40).

في النصّ إشارة إلى تفاقم قلق الشاعر من وقوعه في كمين الوجود وتقلباته, وأسره في ظلمات واقع مُعدم ومصير يوحي بمستقبل مجهول, فهو يؤمن بأنّ الصلة وثيقة بين الحرية والعدم والقلق؛ لذلك قد حرص على أنْ تكون رؤاه في النفي حاضرة وممتدة على مدى الزمن[41], فقد حاول أنْ يصور معاناته وعذاباته مِنْ أنَّها مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالنزعة الوجودية التي ترى أنْ الإنسان منسحق تحت عجلات واقعه المأساوي, الأمر الذي يولد في ذاته قلقًا من الحياة[42], فيصرح الشاعر بإحساسه بالقلق والخوف بسبب ما يعيشه من متناقضات, وخارطة طريق غير واضحة المعالم؛ وذلك نتيجة إحساسه بالعدمية والفناء, فهو وإنْ كانت الحياة مستمرة لكن الاحساس بها غائب.

وتُجسّد آمال الزهاوي معاناتها في الوجود في طرحها تساؤلات عدّة لذاتها (من أنا؟ وما ابتغي), وتشير إلى ذلك في قصيدتها(الفرار)؛ فتقول:

من أنا؟ ... ما ابتغي

يتهاوى الصوت في قبو جليد

يقدح الحيرة في جوف غموضي

تتبدّى...

تتوارى فيه اشباح الجواب'

...

أين أمضي؟(43).

ينبثق سؤال الشاعرة من حجم المعاناة والقلق الذي تعيشه في الوجود, وحيرتها التي تقدح في غموض ذاتها هذا الضياع, وتختفي وتتجلى من جديد بِهَيْأَة أشباح دلالة على السأم والحيرة التي تنتاب مشاعرها وذاتها, والقلق الذي يستولي على وجدانها, و(أين أمضي؟) توحي إلى أنّها إنسانة حائرة في الحياة, فقد حشدت الشاعرة لتصوير قلقها مفردات تدل على ضياعها وحيرتها (كالقبو, والاختفاء, والاشباح), فقد مَثَّل التخفي–هنا– صورة من صور النزعة العدمية القلقة غير المستقرة.

ويكشف زاهر الجيزاني عن قلقه وإحساسه بأنّ مصيره الفناء والعدم في واقعه المُتهري, وهذا واضح في قصيدته (قلق)؛ إذ يقول:

ثمة صوت يعبر جلّاس المقهى

يخرمني

يتداخل بالقلب, يدفع بي كالسيل الى هاويتي

أطوي أشرعة

انشر أشرعة

أطويها, أنشرها

...

أبني أيامي

أمحو أيامي(45).

ينطلق النص من حالة توتر نابعة من الذات القلقة للشاعر, التي تفيض قلقًا وضياعًا وحيرة في الوجود, فالصوت هو واقع مجتمعه الذي يمزق قلبه ويدفع به الى الهاوية والعدم؛ فقد مثلت الثنائيات الضدية هنا الإحساس بالعدمية ولا جدوى الوجود؛ إذ إنّ (الطي–النشر– البناء– المحو) يمثل قمة التساوي بين كفتي الوجود واللاوجود وإنّ التساوي بين الأمرين يعني الموت والموت, ولا يعني الحياة والموت؛ لأنّ الشاعر يحاول أنْ يجد منفذًا لما يُعانيه من اغتراب لكن النتيجة كانت عبثية, وإنَّ استلهامه لتلك المفردات قصد التأثير في المتلقي والإحساس بما تعانيه ذات الشاعر.

الخاتمة

ونَستشف مِمّا سبق: أنَّ رياح النزعة العدمية عصفت مُجمل الشعر العراقي المُعاصر بعد الحرب العالمية الثانية, التي نتج عنها تغيير في الوضع السياسي في أغلب المفاهيم التي أحاطت بالشعراء, فضلا عن التأثير الغربي, والشعور بالضياع والحرمان للذات الشاعرة في المجتمع آنذاك, مِمّا دفعها إلى الانكفاء على عالمها الداخلي والتعبير عنه بلغة تتلاءم مع مكنوناتها, ويبدو أنّ امتزاج ذاتيه الشاعر بهموم مجتمعه ومعاناته في أغلب نصوصه الشعرية, لا يمنعه من التعبير عن عالمه الذاتي وهمومه الفردية في واقع تسيطر عليه روح التشاؤم والسوداويّة؛ إذ مُلِئتْ دواوين الشعراء بالمفاهيم العدمية واللاجدوى والعبثية.

الهوامش:

(1) ينظر: التجليات الفنية العلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر, د. أحمد ياسين السليماني, دار الزمان, دمشق, سوريا, ط1, 2009م: 100, وينظر: الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية, د. عبد الواسع الحصري, المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر, ط1, 1999م:11.

(2) ينظر: من الوجه النفسية في دراسة الأدب ونقده, محمد خلف الله, لجنة التأليف والترجمة والنشر, 1974م: 35.

(3) المعجم المفصل في الأدب, د. محمد التونجي, دار الكتب العلمية, ط2, بيروت, لبنان, 1999م. 460.

(4) ينظر: الوجودية مذهب إنساني, جون بول سارتر, تر: عبد المنعم حنفي, ط1, 1964م:44-46.

(5) ينظر: النقد الأدبي والموازنات, محمد الصادق عفيفي, الناشر مكتبة الخانجي, القاهرة, م1978: 62, 63.

(6) ينظر: الرؤى الفلسفية في الشعر العراقي الحر, د. بشير عريعر: 341, وينظر: في الأدب الفلسفي, د. محمد شفيق, مؤسسة نوفل, بيروت,ط1, 1980م: 48

(7) الذات في مواجهة العالم.. قراءة ثقافية في شعر حسين مردان, د. حسن الخالقي, 2017م, موقع انترنيت .www.alnaked-aliraqi.net

(8) الشعر الحر في العراق منذ نشأته حتى عام 1958, يوسف الصائغ, منشورات اتحاد الكتاب العربي, دمشق, سوريا, 2006م: 105.

(9) ينظر: موضوعات القصيدة العربية المعاصرة البواعث والاختيار 1945-1980, د. سهير أبو جلود, دار الفراهيدي للنشر والتوزيع, ط2, 2017م: 75.

(10) ينظر: الشعر الحر في العراق منذ نشأته حتى عام 1958: 150.

(11) ينظر: الاغتراب في الشعر العربي من القرن السابع الهجري(دراسة اجتماعية نفسية), د. احمد علي الفلاحي, دار غيداء للنشر والتوزيع, ط1, العراق, 2013م: 26.

(12) الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر, د. محمد راضي جعفر, من منشورات اتحاد الكتب العرب, دمشق, سوريا, 1999م المقدمة :c

(13) الموسوعة الفلسفية العربية, معن زياد, معهد التاريخ العربي, بيروت, لبنان, ط1, 1986م: 1/ 39.

(14) ينظر: سيسيولوجيا الاغتراب قراءة في نقدية منهجية في فلسفة الاغتراب, علي محمد اليوسف, دار الشؤون الثقافية العامة, ط1, بغداد, العراق, 2011م: 177.

(15) دراسات تحليلية في الشعر العربي المعاصر, محيي الدين صبحي: 127.

(16) ينظر: سيسيولوجيا الاغتراب قراءة نقدية منهجية في فلسفة الاغتراب, علي محمد اليوسف, سلسلة دراسات, ط1, بغداد, العراق, 2011م: 175.

(17) ينظر: الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر–مرحلة الرواد–, محمد راضي جعفر: 45.

(18) ينظر: الشعر والشعراء في العراق, احمد ابو سعد, دار المعارف, 1959م:176. فإنّ أهم ما يميز شعرها هو انفتاحه على قضايا وجودية وفلسفية ذات بعد وجداني, عن طريق تأثرها بالأدب الغربي عبْرَ ترجمتها للشعراء الذي كان بينهم جون كيتس شاعر الميتافيزيقيا الأقدم. ينظر: نازك الملائكة قضية الشعر العربي المعاصر, موقع انترنيت: www.jehat.com.

(19) ينظر: الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا, د. قيس النوري, مجلة عالم الفكر, الكويت, ع1, م10, مايو, 1979م: 18.

(20) ديوان نازك الملائكة, دار العودة, بيروت, لبنان, 1997م: 1/ 481, 482.

(21) الرؤيا والتشكيل في الشعر العربي المعاصر, سلام كاظم الأوسي, دار نيبور للطباعة والنشر, ط1, 2020م: 248.

(22) ينظر: الرؤى الفلسفية في الشعر العراقي الحر: 313.

* فإنّ عدميته متأتية من تشرده وانكاره للقيم والتقاليد وثار على المجتمع واعتزله نهائيًا, بسبب عوامل عدّة منها اجتماعية وعائلية وغيرها, وكان مختلفا؛ إذ نجد في شعره همّا وجوديا عبثيا لا نجده عند الرواد, يتلاءم مع نزوعه الذاتي والنفسي فضلا عن تأثره بالشاعر كيتس وبأبي العلاء المعري وإنسانيته, وألبير كامو ووجوديته في نظرته للحياة. ينظر: في الطريق الى الحداثة (دراسات في الشعر العراقي المعاصر), سامي مهدي, دار ميتروبوتاما, ط1, بغداد, العراق, 2013م: 167, 170.

(23) ينظر: الاغتراب والوجودية في أغاني الحارس المتعب لبلند الحيدري, أ.م. د اريج كنعان, مجلة كلية الآداب, جامعة بغداد, ع102, 2012: 3, 8.

(24) الاعمال الكاملة للشاعر, بلند الحيدري, دار سعاد الصباح, القاهرة, مصر, ط1, 1992م: 51, 53.

(25) الرؤى الفلسفية في الشعر العراقي الحر: 214.

(26) الرؤيا والتشكيل في الشعر العربي المعاصر: 244.

*فهو من شعراء ما بعد الرواد, كان بوهيمينا أي متحلل عن مجتمعه وقيمه في شعره, وكان متمردًا بأفكاره الصادمة للوجود والمرأة بروحه الغاضبة, وتحديه للمجتمع وتقاليده, ول ذلك جديد على الشعر العراقي المعاصر, وربما الشعر العربي كله, ينظر: في الطريق إلى الحداثة, سامي مهدي: 321, 328.

(27) ينظر: في الطريق الى الحداثة: 331.

(28) الأعمال الشعرية, حسين مردان, دار الشؤون الثقافية, بغداد, العراق, 2009م: 13/1.

(29) ينظر: الاغتراب في شعر حسين مردان, د. مثنى كاظم صادق, موقع انترنيت: www.alnaked-aliraqi.net.

(30) ينظر: الرؤيا والتشكيل في الشعر العربي المعاصر: 238.

(31) قصائد الضد, جليل حيدر, دار الحرية للطباعة, بغداد, العراق, 1974م: 31, 32.

(32) ينظر: عتبات نقدية, د. سهير أبو جلود, دار ومكتبة سامراء للنشر والتوزيع, ط1, سامراء, العراق, 2019م:46/1.

(33) الكف والعرض والقلق, فرويد, دار الشروق الأوسط, القاهرة, ط4, 1989م: 13.

(34) القلق ونوبات الذعر, د. كوام مكنزي, دار المؤلف, الرياض, ط1, 2013م: 3.

(35) ينظر: القلق من وجه نظر مارتن هايدغر, موقع انترنيت: www.momioun.com

(36) القلق , مصطفى عبد السلام الهيتي, مطبعة دار السلام, بغداد, العراق, ط1, 1975م: 13

(37) ينظر: الرؤى الفلسفية في الشعر العراقي الحر: 345, وينظر: الزمان الوجودي, عبد الرحمن بدوي, مطبعة جرينبرج, القاهرة, ط2, 1955م: 175.

(38) مفهوم الشعر عند رواد الشعر العربي الحر, د. فاتح علاق, اتحاد الكتاب العرب, دمشق, 2005م: 61.

(39)انطولوجيا اللغة عند مارتن هيدغر, ابراهيم احمد, الدار العربية للعلوم, بيروت, لبنان, ط1, 2008م: 100.

(40) الإبهام في شعر الحداثة العوامل والمظاهر وآليات التأويل, د. عبد الرحمن محمد العقود, عالم المعرفة (144), الكويت, 1989م: 45.

(41) ينظر: الموجة الصاخبة(شعر الستينات في العراق), سامي مهدي, دار الكتب والوثائق, بغداد, العراق, 1994م: 19, وينظر: الرؤى الفلسفية في الشعر العراقي الحر: 347.

(42) ينظر: الرؤى الفلسفية في الشعر العراقي الحر: 350.

(43) الاعمال الشعرية الكاملة, عبد الوهاب البياتي: 2/ 49.

(44) ينظر: الرؤى الفلسفية في الشعر العراقي الحر: 350, 351.

(45) ينظر: آليات الشعرية الحداثية عند أودنيس(دراسة في المنطلقات والأصول والمفاهيم), د. بشير تاوريريت, عالم الكتب, القاهرة, مصر, ط1, 2009م: 183.

(46) ديوان الطارقون بحار الموت, آمال الزهاوي, دار العودة, بيروت, لبنان,1967م: 53, 54.

(47) تعالي نذهب إلى البرية, زاهر الجيزاني, دار الحرية للطباعة, بغداد, العراق, 1978م:15.

المصادر والمراجع:

- الاغتراب اصطلاحا ومفهوما وواقعا, د. قيس النوري, مجلة عالم الفكر, الكويت, ع1, م10, مايو, 1979م.
- الاعمال الكاملة للشاعر, بلند الحيدري, دار سعاد الصباح, القاهرة, مصر, ط1, 1992م.
- الأعمال الشعرية, حسين مردان, دار الشؤون الثقافية, بغداد, العراق, 2009م.
- الاغتراب في الشعر العربي من القرن السابع الهجري(دراسة اجتماعية نفسية), د. احمد علي الفلاحي, دار غيداء للنشر والتوزيع, ط1, العراق, 2013م.
- الاغتراب والوجودية في أغاني الحارس المتعب لبلند الحيدري, أ.م. د اريج كنعان, مجلة كلية الآداب, جامعة بغداد, ع102, 2012م.
- الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر–مرحلة الرواد–, د. محمد راضي جعفر, من منشورات اتحاد الكتب العرب, دمشق, سوريا, 1999م.
- الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر–مرحلة الرواد–, د. محمد راضي جعفر, من منشورات اتحاد الكتب العرب, دمشق, سوريا, 1999م.
- الاغتراب في شعر حسين مردان, د. مثنى كاظم صادق, موقع انترنيت: –www.alnaked .aliraqi.net
- انطولوجيا اللغة عند مارتن هيدغر, ابراهيم احمد, الدار العربية للعلوم, بيروت, لبنان, ط1, 2008م.
- الأعمال الشعرية الكاملة, عبد الوهاب البياتي, دار العودة, بيروت, لبنان, 2008م.
- آليات الشعرية الحداثية عند أودنيس(دراسة في المنطلقات والأصول والمفاهيم), د. بشير تاوريريت, عالم الكتب, القاهرة, مصر, ط1, 2009م.
- الإبهام في شعر الحداثة العوامل والمظاهر وآليات التأويل, د. عبد الرحمن محمد العقود, عالم المعرفة (144), الكويت, 1989م.
- التجليات الفنية العلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر, د. أحمد ياسين السليماني, دار الزمان, دمشق, سوريا, ط1, 2009م.
- تعالي نذهب إلى البرية, زاهر الجيزاني, دار الحرية للطباعة, بغداد, العراق, 1978م.
- ديوان نازك الملائكة, دار العودة, بيروت, لبنان, 1997م.
- ديوان الطارقون بحار الموت, آمال الزهاوي, دار العودة, بيروت, لبنان,1967م

– دراسات تحليلية في الشعر العربي المعاصر, محيي الدين صبحي, منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي, دمشق, سوريا, 1972م.

– الرؤيا والتشكيل في الشعر العربي المعاصر, سلام كاظم الأوسي, دار نيبور للطباعة والنشر, ط1, 2020م.

– الرؤى الفلسفية في الشعر العراقي الحر, د. بشير عريعر, دار المدينة الفاضلة للطباعة والنشر, ط1, بغداد, العراق, 2014م.

– الزمان الوجودي, عبد الرحمن بدوي, مطبعة جرينبرج, القاهرة, ط2, 1955م.

– الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية, د. عبد الواسع الحصري, المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر, ط1, 1999م.

– الذات في مواجهة العالم.. قراءة ثقافية في شعر حسين مردان, د. حسن الخالقي, 2017م, موقع انترنيت .www.alnaked-aliraqi.net.

– سيسيولوجيا الاغتراب قراءة في نقدية منهجية في فلسفة الاغتراب, علي محمد اليوسف, دار الشؤون الثقافية العامة, ط1, بغداد, العراق, 2011م.

– الشعر الحر في العراق منذ نشأته حتى عام 1958, يوسف الصائغ, منشورات اتحاد الكتاب العربي, دمشق, سوريا, 2006م.

– الشعر والشعراء في العراق 1900–1958م, احمد ابو سعد, دار المعارف, بيروت, لبنان, 1959م.

– ينظر: عتبات نقدية, د. سهير أبو جلود, دار ومكتبة سامراء للنشر والتوزيع, ط1, سامراء, العراق, 2019م.

– في الأدب الفلسفي, د. محمد شفيق, مؤسسة نوفل, بيروت, لبنان, ط1, 1980م.

– في الطريق الى الحداثة دراسات في الشعر العراقي المعاصر, سامي مهدي, دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر, ط1, بغداد, العراق, 2013م.

– القلق ونوبات الذعر, د. كوام مكنزي, دار المؤلف, الرياض, ط1, 2013م.

– قصائد الضد, جليل حيدر, دار الحرية للطباعة, بغداد, العراق, 1974م.

– القلق من وجه نظر مارتن هايدغر, موقع انترنيت: www.momioun.com

– القلق, مصطفى عبد السلام الهيتي, مطبعة دار السلام, بغداد, العراق, ط1, 1975م

– الكف والعرض والقلق, فرويد, دار الشروق الأوسط, القاهرة, ط4, 1989م.

– من الوجه النفسية في دراسة الأدب ونقده, محمد خلف الله, لجنة التأليف والترجمة والنشر, 1974م.
– مفهوم الشعر عند رواد الشعر العربي الحر, د. فاتح علاق, اتحاد الكتاب العرب, دمشق, 2005م
– الموجة الصاخبة(شعر الستينات في العراق), سامي مهدي, دار الكتب والوثائق, بغداد, العراق, 1994م.
– الموسوعة الفلسفية العربية, معن زياد, معهد التاريخ العربي, بيروت, لبنان, ط1, 1986م.
– المعجم المفصل في الأدب, د. محمد التونجي, دار الكتب العلمية, ط2, بيروت, لبنان, 1999م.
– موضوعات القصيدة العربية المعاصرة البواعث والاختيار 1945–1980, د. سهير أبو جلود, دار الفراهيدي للنشر والتوزيع, ط2, 2017م.
– النقد الأدبي والموازنات, محمد الصادق عفيفي, الناشر مكتبة الخانجي, القاهرة, 1978م.
– الوجودية مذهب إنساني, جون بول سارتر, تر: عبد المنعم حنفي, ط1, الدار المصرية للطبع والنشر, 1964م.